خ
و
ا
ط
ر

بَيْنَ صَمْتِي وَبَوْحِي ...

اِنْتَشَلْتُكِ يَا أَنَا

د / شعلال باهية

بسم الله الرحمن الرحيم
دار ساجد للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى 1442 هـ 2021م.
الإيداع القانوني: أوت 2021.
ردمك: (1- 71-810-9931-978) (ISBN).

اسم العمل:

بين صمتي وبوحي... انتشلتك يا أنتا

اصاحب العمل:

د / شعلال باهية

مدير(ة) النشر: صيام يمينة حرم برخايل.
الاشراف والتنسيق: الأستاذ عبد الحميد مشكوري
تدقيق لغوي: الأستاذ جمال معطا الله

صفحة الدار على موقع الفيسبوك:
FACEBOOK.COM/SADJED.EDITION
البريد الإلكتروني: SAJEDEDITION@GMAIL.COM
الهاتف/الفاكس:0541389203/033554911
الناشر: دار ساجد للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

[الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلفين فقط، ولا تعبّر بالضّرورة عن وجهة نظر النّاشر.]

خواطر

بَيْنَ
صَمْتِي وَبَوْحِي...
انْتَشَلْتُكِ يَا أَنَا

د/ شعلال باهية

إهداء

إلى من علماني كيف أواجه الحياة بقوة وأعاملها بحب...
والداي...كل الحياة
إلى ابني الذي تعلمت بوجوده كيف أتمسك بالحياة رغم كل
شيء "عبد الرؤوف"
إلى أمي الروحية التي سكنت أعماقي دوما ... أستاذتي دائما
" مكري حياة"
إلى عزيزة روحي من مصر "إيمان مصطفى"
إلى كل من أحب قلمي وشجعني كي أستمر
ثم... إليكَ يا من تقبع خلف منارات الألم تحاول كسري،
فألهمتني بعضا من التحدي لأصنع من كسوري آمالا جديدة
تشرق...

مقدمة

هذا الكتاب ما هو إلا تنهيدة عميقة لمشاعر متراوحة بين الألم والمعافاة... بين الحزن والفرح ... بين بكاء الروح وأمل الإنسان... تتناطح فيه كل ذرات المشاعر التي تختلج الشخص في كل قصة أو موقف حياة، ثم أن الحقيقة في كل حكاية نزنها بمشاعر الإنسان كيفما كان (رجلا أو امرأة، كبيرا أو صغيرا ، محبا أو ماقتا)، فكلها تصنع توازنات الروح خلف حجاب الحقيقة التي يداريها أحيانا من أجل أن يرسم للحياة وجها يريد أن يقابلها به ... تلك القصص القصيرة التي تبدو موجعة في بعض المرات لم تكن إلا نفحة أخرى مدفونة في عمق صاحبها ...

حاولت أن أرسم الحكاية الحقيقية لكن ليست كما كانت تبدو للعيان، وإنما كما يعيشها صاحبها في أعماقه وفي عقله، فرتها من خيالي حقيقة ذاتية كما أراها كما لو أنني فعلا صاحبتها ، لكنني في النهاية كنت أحاول دفع الخذلان والكسور بعيدا لأدفع الشخصية المتمثلة في قلمي إلى التفاؤل والاستمرار أو البدء من جديد..

في مقالات أخرى لم أكن أصور لنفسي مقام الشخصية ذاتها لكنني أبَجّل فيها العطاء الذي هو ابن التعب والمشقة وألم ممزوج بأمل الغد .

بين صَمْتِي وبَوْحِي، صراع بين صرخة نريدها أن تكون مُدَوِّيَّة لتقتلع الأوجاع المدفونة في كل واحد منا ، لذلك حاولتُ أن أنتشلَ نفسي من بين شتات الكبت القاتل والبَوْح المريح من خلال كلمات حقيقية.

لاَ تُطلق يديَّ

الحياة ليست أصعب مما نحياه... وليست أسهل مما تصورناه ... إنها فقط لحظات تقدر بعمق ما تؤلمنا به أو بسعة ما تسعدنا أحيانا..

لا تتصور أن قراراتك الكبيرة والمهمة هي فعلا كذلك عند الجميع ... فليس الكل يحترق بقرار يؤلمك ويشعرك بحزن الدنيا ومع ذلك تصارع نفسك كي تفوز في النهاية ... تصارع وأنت وحدك، تحس ذاك الوجع الذي يقتلع من روحك الروح، ثم تغمض عينيك أكثر من ألف مرة في اليوم لتحاول تخطي مذاق مرارة وحدتك أو ألمك الخانق الذي تحياه وحيدا.

ستفكر في كل مرة تغمض فيها عينيك لتتجاوز ألمك في العدول عن هذا القرار المميت لفرحة غَزَتْ قلبك للحظات ... وتتذكر كم عشتها سعيدا تطير آمالك وتداوي آلامك حينها ... وستُسَرُّ نفسك للذكرى فتحاول أن تبرر لنفسك حق العدول عن أمر يقتلك مرات ومرات ومرات...نعم... ستبتهج بمجرد أنك أحسست بالحياة تتحدد فيك لحظة فكرت في العدول، فتعتقد أن الصواب في العدول مرة أخرى.

لكن لا تحاول الاستماع إلى قلبك ... فقرارك الذي يؤلمك كثيرا ما ألمه إلا ابن صواب وحقيقة ... ليست كل المنافذ التي تبدو لنا في البداية منيرة ستحملنا إلى عالمنا الحقيقي...ربما هي منافذ أفخاخ يحضرها لنا القدر برهة تجعل من أعمارنا سويعة من السعادة ودهرا من الوجع.

في أعماق قرارك الصعب والمؤلم بحر من الرضا... فلا تحاول التفكير طويلا وأنت مغمض العينين تتجرع غصة المرارة تلك، فمساحة الحياة لا تسع الكثير من الندم ولا خسارة الأنفس، لتنطلق كل مرة من جديد عند أول عتبة انهيار أو إحباط جديد... ولتركب دموعك موجا يعلو بك إلى فضاء يعانق روحك التي تألمت فتسعد من جديد... وتأكد أن قراراتك المؤلمة والمهمة مهما صغرت في أعين الناس فهي تعنيك وحدك بحجمها الذي تراه أنت وليس كما يراها الآخرون... ثم بعد أن تفهم هذا واصل دربك بثقة لوحدك حتى لو تمنيت لو أن أحدهم لم يطلق يدك.

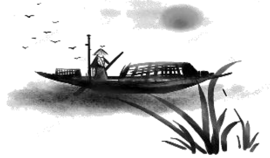

عند الرحيل

هل ما زلت تتفاجأ عندما يرحلون؟ ... هل تشعر بتلك الخيبة المؤلمة في وسط صدرك بعد أن تراهم يبتعدون؟؟... كلها في الواقع لحظات جميلة في حياتك، مثل موج البحر الهائج الذي يخيفنا لو كنا في عرض البحر، لكنه يلهمنا وينعش أرواحنا عندما نكتفي بالنظر إليه من بعيد ونعيش لحظاتنا الهادئة في ذلك الجو الغريب..

هي مجرد لحظات عابرة في حياتنا لو ركزنا قليلا... نعم... هي مقتطفات تزيد حياتنا رونقا ولأرواحنا ألفة ... فليس صحيحا كل ما يقال عن وجع الرحيل وألم الفراق، يكفي أن نعتاد اللحظات القاسية حتى يصبح كل شيء ماضيا لا تحمل منه الذكريات غير إحساس بالحنين يحرك بداخلنا عاطفة مختلطة بالقليل من الحزن والألم الممزوج بالأمل ... مع ابتسامة تنم عن حنين يقص زمنا نعلم أنه قد ولَّى.

في كل تلك الفترات والرحلات على متن قوافل أعمارنا أحببنا كثيرا... عاتبنا كثيرا...سامحنا كثيرا... ثم غضبنا وغضبنا ونسينا فرحلنا نحن أيضا، وكنا في حياتهم أرقاما ترحل تاركة في قلوبهم

أوجاع الفراق ...هذا دون أن نفكر فيهم كما نفكر في أنفسنا ... دون أن نفهم أنهم حزنوا لرحيلنا بعدما تركناهم يتألمون.

بسيطة جدا هي تلك المعادلة في شكلها، وعميقة جدا في آلامها... إنها فقط تحمل طرفين يبتعدان بعد وصال جميل... وكل طرف يزن الآخر ويعادله في الفكرة...

إننا نراهم قد رحلوا وأوجعونا ولم نفهم أنهم يرون أننا رحلنا وأوجعناهم.

الأنانية تغلبنا حتى في محاسبة من نحب لذلك نفقدهم بسرعة وببساطة ونختار أن نحمل ألم الذكريات في عالمنا الجديد.

إذا كنتم فعلا لا تؤذون... فعلا تحبون... فعلا لا تريدون الوجع... كونوا أول من يحضن ويسامح ويفهم... لأننا جميعا نترك وكلنا مُلامون.

زمن الألم

نحن في زمن الألم الذي يتخطى بداخلنا الرغبة في البقاء بعيدا عن الجميع والبكاء بحرارة ... نعم ... كل شيء مؤلم هنا... موجع حد الموت.

يؤلمني هذا الموت الذي يخطف كل من حولنا بسرعة وبأعداد كثيرة ... موت الأطباء الذين حتى لو لم أعرفهم أبدا إلا أنه يكفي أن يوجعني سبب موتهم يوميا، فقد كانوا يعملون ويتعبون ويأملون... ثم يحتال عليهم الفيروس ليسرقهم من بيننا في لحظة اعتقدنا فيها أنهم هنا... على أرواحنا يحرسون.

يؤلمني رحيل كل هؤلاء الناس الذين أعرفهم أو لا أعرفهم في زمن الوباء الغادر... نعم... إنه يغدر بالكل، فلا نحن لفراق أحبتنا منتظرون، ولا لسرعة ذلك متوقعون... يؤلمني هذا الخوف من جهل البعض بحقيقة أن الناس يتساقطون من حولنا كتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف ... بل يخيفني هذا الجهل أكثر من الموت نفسه.

يؤلمني أن تنفجر بيروت وينفجر معها ألف أمل وأمنية وحلم... في لحظة نسينا فيها الإرهاب والحرب والخراب ... عندما تراقصت فجأة جثث الناس في السماء مستغربة ومذهولة لا

تدري ما يحدث، وهل حانت ساعة الرحيل في ثوان لم ينتظرها أحد؟

يؤلمني منظر النار التي نهشت الإمارات عندما كان العالم يتألم لبيروت... فتَصدمنا فجأة تلك اللحظات من لهيب الغدر.

تؤلمني النيران التي نهشت غابات بلادي فأحرقت كل الجمال وكل الجهد والتعب الذي كان في لحظة منسيا عند كل من غرس شجرة أو شيد بيتا، أو أسعد طيرا في غابات بلادي، ثم تلتهم ألسنة اللهب كل الفرحة وكل الحياة وكل تعب السنين في لحظة ليعود الزمن إلى الخلف سنينا ويطلب منا أن نعيد الحياة من جديد...

آلمتني كل هذه الأحداث حد وجع الروح... وفي خضم كل هذا نفكر في الغد كيف سيكون... أفكر أيضا أن هناك عملا ينتظرني كي أتدارك به ما فسد... أشياء تدفعني لأتناسى كل هذا لأقول في نفسي: عليّ أنْ أصلح ما بين يديَّ وكلي أمل وعزيمة ... بل كلي يقين أنني سأغير شيئا لأجعله أفضل.

لقد حدثت كل تلك الأحزان والأوجاع لأن الغدر قائم دائما في مكان ما ... لسنا ندري أين ولا متى سيظهر ليأخذ جزءا منا، لكن يبقى هذا الغدر مجرد جبان مختبئ لا يظهر إلا في غفلة منا ليقتل أفراحنا ويفقدنا الأحبة ثم يرسم على وجوهنا دموع

الحزن المريرة لكنه يبقى جبانا لأننا نتعود فنفرح وننسى ونحيا... برغم الأحزان نحيا..

هَلْوَسَات

إلى شخص حاول في زمن ما أن يعطيَني الحياة الجميلة كما رسمتها أنا بريشة أمنياتي وأحلامي الصغيرة... عندما حاول تغطية الخوف الذي يلتصق بغدي وكافح من أجل حماية كوكبي الضائع بين أمواج الأذى التي تلطمني ... كان فعلا طوق نجاة يأتيني من بعيد وكنت أنتطر وصوله بفارغ الصبر لكنه توقف فجأة عندما كبلته سلاسل الزمن التي نسيت أن تقيده برفق كي يستطيع انتشالي يوما... ما آذاني فيك ليست ظروفك القاهرة التي جعلتك تنظر من بعيد دون حول منك ولا قوة ... وإنما تقهرني نبرة الاستسلام لكل عقبة في طريقك...

هي مجرد هلوسات ليلية لأمل ذاق مرارة التخلي من بحار بطل... يأبى في إبحاره انتشال هذا النورس الحزين الذي تعمد انتظاره ليكون وحده المنقذ.

هي مجرد أحلام وأمنيات لفراشة أطالت البقاء قرب نور اللهب الجميل المغري حتى احترقت... وكان المنقذ هو تلك الغيمة التي ستحجب عنها لهيب الموت...

هي مجرد عجوز انتظرت عمرا على عتبة الوطن تنتظر المنقذ لطفل تحمله في حجرها، وكان المنقذ طبيبا يحمل رشفة دواء

تعطي الحياة تدب ثانية في صدى ضحكات ولد يهوى الركض بين المزارع...

ثم ... وفي خضم حرقة الانتظار وجرح التخلي اختار النورس أن يطير بعيدا بجناحيه يحضن ذكرى البطل المنقذ الذي تخلى... واختارت الفراشة الذبول والاحتراق قرب نور النار لتنسى الغيمة التي تنتظر أن تدفعها رياح السنين إليها... واختارت العجوز أن تدفن طفلها قرب عتبة الوطن وترجع لأطفالها علها تنسى تلك القطعة التي أخذها الزمان منها عنوة.

هكذا أيضا يمكن للتخلي أن يكون... عندما تكون الظروف سيدة العطاء والكف عنه... حينها يمكننا أن نختار الرحيل أيضا حتى يتوقف نزيف الخذلان...

أنا رحلت ... نعم ... اخترت الرحيل منذ زمن حين أخذت معي وجعي لأترك عندك وجعا آخر ... وإذا كنت دوما تلك الفرحة التي لن تموت في ذاكرتك... أو كنت عصفورة الأمل الذي ينعش أمنياتك فأنا سأبقى فقط كطيف يزورك من حين لآخر لأنني تركت عندك بعض الأمنيات الجميلة التي تعطيني بريقا من السعادة التي كنت يوما أحياها... فكن سعيدا بما تركته عندك ... لأنني سعيدة بما أخذته منك.

لأنك امرأة كوني سعيدة

لأنك امرأة عليك أن تكوني دوما سعيدة، فلست أشك في أن السعادة خلقت لأجلك... ولكي تكوني سعيدة أحبي نفسك كثيرا... أحبي تفاصيل وجهك كيفما كانت... إذا كنت شابة في مقتبل العمر فانعمي بجماله وحيويته، وإن كنت امرأة علَّمت الدنيا على وجهك خربشات الهموم فانعمي بكل تفصيلة ألم رسمتها السنين بين تلك التجاعيد التي بدأت تحكي شيئا منك.

أحبي تفاصيل يومك أيضا كيفما كانت ... وإن كانت مملة فعليك أن تخلقي فيها سويعات من الجمال الذي ستحبينها بها ... أحبي شخصيتك بضعفها وقوتها واعتدالها، فليس لكِ أن تتذمري منكِ أبدا، وعندما تحزنين أو تشعرينَ بشيء من الكآبة والوحدة فلا تبحثي حولك عمن يواسيك... بل عيشي لحظتك الكئيبة تلك في سويعات أو في يوم ولا تزيدي عن يومين، ثم انتفضي وقومي واسعدي واخرجي إلى الحياة، فالجو مليء بالأكسجين النقي الذي سيمسح ما تبقَّى بداخلك من ألم الأمس.

هـل تعتقدين فعلا أن في الـوجود شيئا يستحق أن تـذبل لأجله

عيناك الجميلتان؟ أو يستحق أن تخفي لأجله ابتسامة ثغرك الرائعة؟؟

أتعلمين ما يجب أن تفعليه حقا؟ ... فقط انطلقي في كل يوم وكأنه يوم جديد... اشربي قهوتك في سريرك وأنت تستمعين لأنغام جميلة...اقرئي كتابك المفضل... اكتبي شيئا كيفما كان... ثم اخرجي إلى الناس وأنت مدركة أنهم جميعا متشابهون إلى أن يثبت أحدهم عكس ذلك... ثم أن تساقط الأشخاص في بعض أيامك حين يخذلونك لا يستحق الوقوف عندهم كثيرا، لأن نظرة وداع واحدة وسريعة كفيلة بدفنهم إلى الأبد ثم تكملين طريقك مثلما يفعل الزمن رغم تساقط أوراق الشجر والزهر لأنك أنت الزمن.

لا تنسي ... أهم شيء هو أن تحبي نفسك لأنك تستحقين... ثم انطلقي.

إصرار

عندما تفكر أن الدنيا قد خذلتك ولن تستطيع المواصلة، تذكر أنك ما خلقت لتطلب الحياة الجميلة بسهولة... لا تفكر أن الحظ وحده من سيجعلك تحقق طموحاتك ... ولا تقارن وضعك بأوضاع غيرك، فجميعنا مختلفون، وأجمل ما فينا اختلافنا هذا.

لا أذكر من تلك المرحلة التي تعرفت فيها بإحدى زميلاتي وأنا طالبة في الجامعة سوى إحساسي بالحزن المختلط بالشفقة والتعاطف معها لأنها من ذوي الاحتياجات الخاصة... لقد كانت حاجتها إلى مرافق دائم يحمل عنها الكتب ويمسك بيدها لتصعد سلما أو تنزل منه أو غير ذلك يجعلني أشعر بالواجب في مرافقتها معظم الوقت... كانت طالبة مجتهدة وطموحة، ولا تجد مشكلة في عرض ما أصابها وكأنها تصرخ في أوجه الجميع أنها لا تختلف عنهم... بل إنها أفضل منهم لأنها متمسكة بأحلامها ولديها أهدافا تستميت لتحقيقها.

أحببت فيها إصرارها وثباتها وجهودها اليومية لتجسيد أهدافها الجميلة.

لست أدري إذا كنت في تلك الفترة معجبة بإصرارها وقوتها،

أم كنت أبحث فيها عن مكمن قدرتها على خلق هذا الكم الهائل من الحياة في داخلها.

بعد زمن لا أعلم ما هو... وجدتنا نفترق وكل واحدة منا تشق طريقها بعيدة عن الأخرى، ولئن كان هذا هو الطبيعي إلا أنني أحسست بعدها أنني رأيت العالم عبر عينيها فرسمت شيئا من دربي أنا أيضا... إنها فتاة لا تعترف بالإعاقة ... لا تعترف أن نقصا ما في جسدها يمكنه أن يصنع منها ضحية يشفق عليها الجميع ... هي تكره أن توضع في خانة الموجوعين من القدر لتبقى تطالب الناس بنظرة تملؤها الشفقة فيتصدقون عليها بمسحة يد على رأسها.

نعم ... إنها فوق عربة الألم الذي ينخر وجدانها في صمت تدفع بنفسها وبكل قوة من أجل أن تصل إلى آخر الممر الذي يبدو منيرا.

هي تريد ...بل ومصممة على الوصول وحيدة إلى ذلك الشق الذي يملأ الدنيا ويضيء عمرا غامضا بين أحضان الأقدار.

لم أعد أشفق أبدا على مثل هذه الحالات لأنني غالبا ما أستمد منها الحقيقة والأمل والبعث من جديد...

الشفقة ... كل الشفقة التي يمكنني أن أشعر بها ما هي إلا شعور بغيض أحمله لأناس يصعدون بلا طموح... أهدافهم

كلها طمع تتحقق بكسر الآخرين ... لذلك سأبقى أحب من يؤمن بنفسه أكثر من ظروفه ... وبمن يتشبث بحلمه وهو على مشارف الانهيار.

علمتني الفتاة حياة كيف يمكن أن تكون الحياة فعلا حياة.

فأحبوا ما تفعلون وما تأملون لأن ذلك هو ما سيجعلكم تشعرون فعلا بالحياة.

لقلبك السعادة أينما كنت يا من تقدرين نفسك بحق وتؤمنين بأهدافك رغم كل ما يعترضك.

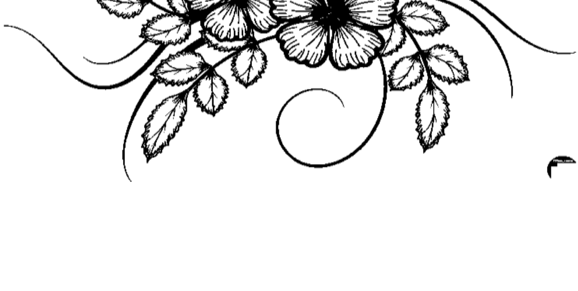

متاهة الحياة

هل يمكنك أن تستغنيَ يوما عن قلبك الذي نشأ من أجل ألا يضر الناس لأي سبب كان؟؟ هل يمكن لتلك المشاعر الجميلة التي تجعل منك إنسانا وتفتح لك آفاق الحياة كما تعلمت وأنت بين أحضان والديك أن تكون للحظة مجرد زيف يقتل من حولك بالغدر والخيانة ؟؟... وإذا لم تستطع أن تحجب عن روحك صدقا كبر فيك دوما فكيف لك أن تستمر وسط أشباح تختلق ألف مرارة لصفائك لأنهم لا يفهمون معنى أن يكون المرء وفيا.

هي متاهة الحياة تحمل من الاختلاف حلوه ومره... ويبقى المرء يقرأ في نور الشمس التي تأفل ما تراه عيناه هو وفقط... نعم ... لسنا مضطرين لنقرأ نفس النصوص التي تكتبها أشعة الشمس خلف تلة الغروب لأن أعيننا تختلف، فمنها من ترى بعمق ما يحمله الوجدان من جمال ونقاء، ومنها من ترى بعمق الخوف الذي يدب في وجدان من ألف الغدر فيحاكي به السماء.

لا أريد أن أسمع ألحانا لا تتراقص لها مشاعري... فأنا حتما اخترت موسيقاي منذ زمن، وبين جمال ما نحمله في وجداننا

وقبح ما يحدث حولنا نبقى داخل المتاهة نبحث عن الخير الذي يزيدنا خيرا علنا نتوقع خيرا ويبقى أصحاب الأطماع يبحثون عن مخرج من هذه المتاهة علهم ينجون من أنفسهم ومن سواد ما يفكرون به.

كان سهلا أن نرضى بما نحن عليه ونحب أنفسنا بدون أذيَّة الغير... هذا حتى لا نتوجع ولا نوجع ...لكن الأقدار ترسم بريشة أخرى عدم الرضى الذي يوجعهم ويوجعوننا به ولو من بعيد.

في النهاية قررت أن أبقى كما أنا ... لا أقبل لنفسي إلا البقاء داخل المتاهة لأعيش رونق ألوانها الذي لا يراه الجميع لكنني أراه ... سأظل أعشق هذه الموسيقى التي تتناغم مع ما أحبه في هذه الحياة... ويمكنني أن أترك كل الأماكن التي هي في الأصل ليست أماكني ... سأبقى في مكاني الجميل حيث أستشعر دوما تلك القوة التي تحميني من كل شيء ... ربما حتى من موسيقاهم غير المنتظمة التي تشوه روح الحياة.

لنتعلم الصدق

أكاد أجزم أن الحياة مخيفة ومرعبة جدا في كل مرة يصدمنا أناس نحبهم ونقدرهم... أتساءل هل يمكنني أن ألتقيَ بأشخاص لا يخدعون ولا يغدرون؟؟ أشخاص يمتلكون قلوبا صافية ببساطة حتى لا يوجعون؟

كل المشكلة في داخلنا ... نعم ...هي معادلة جدا بسيطة أيها البشر، لنكن مصابيح تنير ما حولها أكثر مما تحرق غيرها فالأذية مؤلمة ... والخذلان مؤلم ... والترك مؤلم ... والتخلي قاتل.

صعبة جدا لحظة نتخبط في غياهب الوحدة لتصبح كل اللحظات التي تشق عنان السماء بصفائها مجرد ذكرى تزيد من عمق الجرح كلما استرجعناها... لأننا عشناها بصدق وعاشوها معنا بالزيف.

ماذا كنا سنخسر لو لم نلعب أدوار البطولة التي لا تناسبنا منذ البداية؟ كانت علاقاتنا ستكون أحلى بكثير بدون وعود كاذبة وأحلام تنفجر بشوكة دبوس الحقيقة فجأة... الآن وبعد أن تعب الغدر من الغدر يمكننا أن نرى انحدار بعض

الدمعات على أجفان الغادرين، وعلينا طبعا أن نمسحها ونهون عليهم وكأنهم الضحايا، ومن الجاني؟ من؟

ليس مطلوبا منك أيتها الحياة إلا أن تعَلِّمي الناس صدقا... واقعا ... تقديرا للحب الذي يجعل منا أغبياء في زمن يلبس فيه الجميع ثوب المحب.

رفقا بأنفسكم ورفقا بنا يا من تأخذون بيدنا عند الحاجة ثم تلقون بنا في حفرة التخلي... وتطلبون منا التفهم والرضا.

مع ذلك سنواصل البحث عن الصادقين في دروبنا لعل الحياة ستفتح لنا أذرعها وتهدينا قلوبا تستحق أن نسير خلفها دون خوف ولا رعب من يوم الابتعاد ... والتخلي.

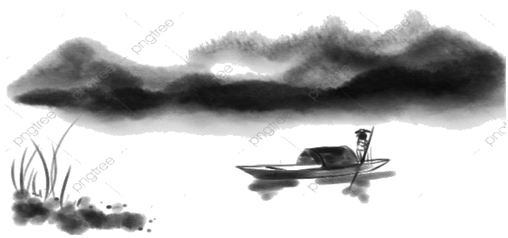

لِعَيْنَيْهَا ... تِلك الصغيرة

لجمال عينيها تلك الطفلة التي ركضت نحوي فجأة وأنا جالسة أتأمل جمال البحر الهادئ في تلك الأمسية الحزينة... لضحكتها المجنونة التي أغرقت سكوني في غمرة الهرب السعيد ... لصوتها القاتل يختلجه رجاء موهوم وهي تناديني: " ماما "وترتمي بين أحضاني وكأنها تستهلك لبرهة سنينا من الشوق والألم.

تلك هي لحظة من أصعب وأطول وأقصر اللحظات التي عشتها... عندما وجدتني فجأة أحتضن طفلة وديعة وجميلة دون أن أفهم من أين لي بها؟؟... سويعة ما أرقها وأعمقها حين أحسست بقبلاتها تملأ وجهي وكأنها ترتوي من لقاء ظنته مستحيلا ... لست أدري كيف تجاوبت معها، ولا كيف فعلت؟ لكنني أخذت تلك العصفورة المجروحة بين ذراعيَّ وتركتها تؤمن بحلمها إلى حين... كان جسدها الصغير بين يديَّ يرتجف فرحا بلقاء أمها وخوفا من ألم فقدها مرة أخرى، أحسست بهذا وأردت أن أسقيها الأمومة التي تشتاق... قبلت وجنتيها الصغيرتين وأخذتُ المرتجفتين أحاول أن أبتسم لها وأقول: " أنظري في وجهي أكثر يا حلوتي الصغيرة فلست أنا بأمك... المسي وجهي وشعري وتحسسي يدي كي تشعري أنني لست هي

... فقد خدعتك هيأتي من بعيد كما ستنخدعين بجوهر الكثيرين حين تكبرين ... تأمليني يا صغيرة لعله سيكون أول درس لك في الحياة عن غدر الناس واندفاعك المخدوع ... تعلمي يا بنيتي كيف يكون الألم بعد أن تعودي إلى رشدك فجأة وقد انغرز خنجر ما في قلبك البريء بلا ذنب إلا لأنك بريئة لا تألمين، لكنها نظرت إلى وجهي واغرورقت عيناها بالدموع وقالت : "لمَ تركتني يا أمي؟؟ لمَ رحلت بدوني؟؟" ... لم أعرف للسؤال جوابا وبقيت أتأمل هذه النجمة الصغيرة تتوجع وتحترق لماض يبدو أنه كان قاسيا جدا عليها ... نظرت إليها بعمق وكان عليّ أن أجد جوابا يسكت حيرتها ويكفكف دموع عينيها، ثم أجبتها ... نعم ... خرجت من صمتي وأفكاري المشتتة ومشاعري الجميلة وقلت لها: "لكنني هنا ... أنا هنا يا حلوتي".

نعم ... لقد كذبت عليها وخدعتها كما خدعها المظهر في أول الحكاية... لقد تلقت هذه الصغيرة كذبتين وخدعتين في نفس اليوم... أولاهما أسعدت روحها فقبلت أمّا غير موجودة وعانقتها ... وثانيهما أدخلتها في عالم الطمأنينة والأمل الجديد فأردتها كالقتيلة على حجري عندما غرقت في نومها كالملاك...

لمحت حينها ظل رجل يقف خلفي ويقول بصوت ثقيل حزين: " شكرا لك سيدتي على هذه اللحظة الحلم التي حققتِها لطفلتي ... لقد فقدت أمها منذ أشهر ويا لذاك الشبه الذي بينها وبينك " أخذ الطفلة مني وهي غارقة في نومها ورحل ... وتتبعت خطواته إلى أن اختفيا عن ناظري.

عدت إلى نفسي اسألها هل ستصحو غدا هذه العصفورة وتطلُّ من نافذة بيتها تترقب عودة ماما التي رأتها ليلة أمس في حلمها؟ كم أنت قاسية أيتها الحياة وأنت تصفعين كل بريء دون هوادة...وكم نستحق صفعك لأننا نحن من لم نرحم أنفسنا منك ... فالكذبة الجميلة والخدعة القصيرة كانت من الحياة إلى الطفلة ... ومن نفسي إلى نفسي ... أنا سمحت لنفسي أن أعيش لحظة حب وسعادة مع طفلة ليست ابنتي... كنت أعلم مقدار الوجع الذي سيقهر روحي بعد حين، لكنني اخترت أن أعيش ثوان من السعادة الكاذبة لأرضيَ في روحي توقي إلى البراءة والجمال...

آذيت الصغيرة وآذيت نفسي وفي تلك الأذية قتلت الفضيلة في ذاتي، فرفقا بالناس ورفقا بنا إن وشم القهر لا يمكن نسيانه ولا بتره ... إنه لا يُبتر يا سادة.

مقتل الرجولة...؟؟؟

التقيت صدفة بالرجولة تمشي وهي مثخنة بجراحها تبكي ... استوقفني المشهد وأدهشني كثيرا لأن الرجولة صفة لا تفارق أصحابها فجأة هكذا.

سألت وتساءلت: أيعقل الانفصال بين الجسد والروح بينما نحن نمشي فوق الأرض بعد؟ ... وكأنها سمعتني فردت بصرها إليّ تجيب:

أنا الرجولة نعم ... ألازم من لا يعرف للكذب طريقا ولا للخداع دربا ... أنا أصاحب من لديه الشهامة وفطنة الزمن المنكوب ... لكنني وجدت نصفي إن لم أقل أكثر ما في يتناثر بين بضعة رجال أحكموا وعودا وأقسموا كثيرا برب العزة أن يكونوا للوفاء أصحابا ... نعم ... كانت عهودهم أعمق وأكبر حتى من أفكارهم عما يقْدمون عليه في هذه الحياة ... أنا الرجولة ... صفة ترفع لها الهمم سالفا وتنحني لوجودي الحياة... تنكسر قيود الغدر إن أطلَّت وتسعد الوجوه الخائفة من خيانات الأنذال ... لكنني كنت وأصبحت ... أصبحت على ألسنة بعض من يسمون رجالا مجرد قسم كاذب وعهد خائن ...

أنا الرجولة تحطمت وقبرت على ألسنة أشباه الرجال ... حتى أصبح مشكوكا بوجودي بعدهم...

تقول الرجولة وهي باكية يائسة محتارة في هذا الزمان أن الكاذب والخائن والغادر أصبحوا في الدنيا رجالا بأقنعتهم لا يخجلون ... ولا يدركون أن طريقهم غير طريقها حين ينكشفون.

لكنني أقول : فعلا ... اختلط الألم بالأمل في قلوب الناس حتى أبدع المنافق في خلق إحساس بدون أساس ... اختلط الفرح بالحزن فنسينا كيف نفرح وكيف نحزن ... دخلت العقول بين تفاصيل الحق وهي تختفي مع إشراقة كل صباح ونحن نستمع للكلام الصادق المختلط بالكذب والنفاق ... تاهت الحقيقة بين أغلظ الإيمان وضحكة التهكم على من يصدقها ... لم نعد نأمن حتى للرجولة الحقة لو لاحت لنا يوما من بعيد فابْكِوت ألمي بل توجعي أيتها الرجولة التائهة بين رجل صادق صدوق يكتفي بالفعل ورجل غادر لا يتوقف لسانه عن القسم حتى تحسبه من ملائكة الرحمان.

في زمن اللاثقة ولد الخوف من الجميع والهروب من الجميع حتى تاه الجميع بين الجميع... فارحموا الحياة يا من تعشقون

الخيانة ... إن الأمل يهرب منا بوجودكم بيننا، مع ذلك حاولوا أن تكونوا صادقين يا من توجعتم الآن، براءتكم قادتكم إلى دروب القاتلين لأرواحكم... الأكيد أنكم ستلتقون في أيامكم قلوبا لا تعرف للقتل طريقا... ولتسعد أرواحكم وأنتم مستمرون.

لحظات مسروقة من الزمن

في تلك الأمسية الجميلة والسعادة تملأ روحي لسبب ما أو لأسباب كثيرة... قررت الانزواء بعيدا عن ضجيج الحياة، لأستشعر تلك اللحظة وأغرق فيها آملة أن أحياها بكل تفاصيلها في روحي ... أخذت مقعدي وحيدة في ركن هادئ بحديقة عامة وأغمضت عينيَّ للحظات أستعيد فيها ذكريات طفولتي الجميلة ... نعم نقول دائما عن طفولتنا أنها جميلة بالرغم من بعض القسوة التي كان يهديها لنا الزمن أحيانا ... لكنها تبقى جميلة لبراءتها وعفويتها وحتى بساطتها ... عدْتُ بذاكرتي إلى أيام القرية الصغيرة حيث لم يكن العالم يتعدى حدودها ... كانت القرية منزلا يحمل الدنيا بأصدقائنا وأهالينا ومدرستنا ... كانت الألعاب اليومية تجعلنا نحيا معنى السعادة فعلا ... وفي خضم تلكَ الذكريات الطفولية تغزو ذاكرتي صورة والديَّ... نعم ... فالحياة لم تكن آمنة أبدا دون وجودهما، بالرغم من أننا لم نكن نقرأ التعب الذي كان يرتسم على وجهيهما في كل حين... لم نكن أيضا نخاف من شيء فالأمان كل الأمان كان في بيتنا وقريتنا وأهالينا، هكذا استصغرنا الوجود ونحن صغار، وهكذا بكت أرواحنا لما كبرنا

وفهمنا أن ذاك العالم الجميل الذي نحتته الطبيعة بشقاء والدينا دون أن ندركه، لم يكن إلا انتظارا للوقت الذي سيعلمنا كم أن التضحية لأجل صغارنا صعبة ومتعبة، بالرغم من حلاوتها التي تشحن الأمل فينا من مجرد نظرة الرضى التي تقابلنا في أعين أحبائنا. ...

المؤسف فعلا هو أن البعض حين يكبرون لا يفقهون من جمال تلك الأيام، ولا يرون فيها غير بعض الآلام التي ربما أصابتهم من حركة قدر غير مستحبة..

لا أظن أن بذل سعادتي كلها في سبيل سعادة من ربياني ستكون كافية لأشعر أن روحي فعلا راضية ... لست قادرة أبدا على أن أجد دربا أسير عليه وقلبي مطمئن إلى أنني أستطيع تحقيق لحظة أمان لهما بعدما كبرا وقد عانيا من الدهر أقساه ... لن أقدر أبدا مهما فعلت لأنني أشعر دوما بخوفي على طفلي مهما بذلت لأجله ... إننا أطفال دائما في نظر أمهاتنا وآبائنا ... فلعمري كم يوجعني منظر عجوز يمشي في الشارع وهو يئن من تعب أو ألم أو وحدة..

هي لحظات سرقتها من الزمن لحظة سعادتي أردت أن أنفرد بها في مكان هادئ بعيدا عن ضوضاء الحياة، فانقلبت بداخلي صراعات الأزمنة واللحظات المتناقضة، لأجزم ساعتها أن

السعادة النقية من كل شائبة غير موجودة ... لأنني عندما فتحت عينيَّ وقعتا على ذاك المسن الذي كان جالسا في مقعده على مسافة مني منذ ساعات، وهو مبتسم ينظر إلى البعيد المجهول ... وفجأة يجتمع الناس حوله مهللين مكبرين، لأعلم بعدها أنه قد سلم روحه إلى خالقه في مكانه... واحسرتاه على طريقة مغادرة هذه الأرض!... لهذا العجوز حكاية أخرى مهما كان وقعها في السرد جميلا، إلا أن نهايتها كنت مؤلمة حد الشعور بقساوة الحياة، وكم أن الانسان وحيد... هكذا جاء وحيدا ... وهكذا سيرحل بوحدته بعيدا، ثم يُطوى كتابه عن متاعب لن نهتم بها إطلاقا إلا سؤالا واحدا يطرق رأسي كل فينة: هل كان ذاك العجوز فعلا وحيدا؟؟؟

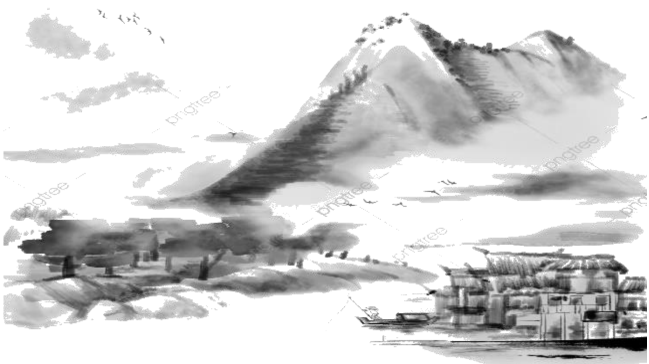

صوت الموت

أرادت أن تعانق موج البحر بعينيها في أمسية حزينة كتلك التي تغني لها لحن النهاية ... هي فقط كانت تتمنى أن تلتقي بذاك البحر لآخر مرة، فلطالما عاشت معه لحظات جميلة يملؤها الفرح وهي ممسكة بيد أحدهم تلف الشاطئ بسعادة تجعلها تهرب من أيامها الذابلة... لكنها أيضا كانت تحب الحياة ... تحبها كما جاءتها دون أن تتذمر منها ومن الأوجاع التي أهدتها إياها، لكن هذه المرة أهدتها وجعا لا تحتمله.

أغمضت عينيها لتنصت بقلبها إلى صوت الموج مرة وإلى حفيف أشجار الغابات مرة أخرى ... وفي هدوء الليل تذكرت كم كانت سعيدة وهي تغني..

ربما هي النهاية هذه المرة ... وإن كانت كذلك فلمَ تهرب من الجميع؟؟... لمَ تبتعد عن كل ما يلون حياتها بتلك السعادة ولو كانت مؤقتة؟ ... هي لا تدري لمَ تفعل هذا رغم أنه مؤلم... لكنها تحاول أن تحتفظ بأيام العذاب المقبلة لنفسها وفقط ... في شريط ذكرياتها لا تستثني أحدا ... وكم تشتاق لأصدقائها وتلك الأماكن التي جمعتهم مرات ومرات ... تشتاق أيضا للحظة

تخبر فيها أحدهم كم تحتاج إليه ... تخبره أنها تغضب منه كثيرا لكنها تسامحه بسرعة...

وبرغم هذا الهدوء المظلم الذي يحيط وجدانها الآن إلا أن ضجيج وصخب المشفى الذي حطم الحياة في حياتها يقتحم رأسها وسمعها وكل وجودها ... تتمنى لو أنها لم تعلم أبدا بما يكسر أحلامها الآن ... لم تسمع موج البحر يرتطم على الشاطئ الجميل، لكنها كانت تسمع صوت الطبيب يقول: إنه السرطان يا سيدتي ...!

أوجاع الروح

لوهلة تذكرت قصة ذاك الرسام الذي طلب منه الملك أن يرسم لوحة نصفها يعبر عن الخير ونصفها الآخر يعبر عن الشر، ثم استطاع أن يرسم تعبيرا عن الخير عندما وجد طفلا جميلا يحمل على وجهه كل علامات البراءة والخير المطلق، لكنه بقي أربعين سنة يبحث عن شكل يجسد الشر في قمته، ليجده أخيرا في وجه شيخ طاعن في السن فقيرا بائسا جدا ...هذا الشيخ كان يبكي وهو واقف ينظر إلى المشهد الذي زاد ألمه ألما ... لما سأله الرسام عن سبب بكائه أجابه أنه هو صاحب صورة الطفل الذي في اللوحة حيث يجسد الخير كله ... نعم كان الطفل نفسه هو الشيخ بعد أربعين عاما ... جاء اليوم ليجسد أيضا صورة الشيطان.

هكذا هي الحياة ... تستقبلنا أبرياء وأخيارا، ومع ركضنا الذي لا ينتهي فيها تسلب منا الكثير من جمال الروح وهدوء النفس، هي لا تكتفي بدمعة واحدة نذرفها لكنها تستمتع بتعذيب القلوب التي تنبض فينا.

ما أدرانا بتلك الحكايات التي يخطها كل واحد منا في إحدى زواياه عدا الزمن؟؟ ... ما أدرانا بعمق جراحات بعضنا؟؟ ...

ما أدرانا كيف يقضي كل واحد منا ليلته حيث يركن إلى أفكاره وذكرياته وجراحاته؟؟

الأكيد أنك عندما تكتب قصتك تلك لن تكون بقلمك أنت وفقط ... أجل ... سيزاحمك الزمن بأقداره ليرويَ منها أحداثا تعرج بك إلى مواقف وأبواب لم تكن في الحسبان ... لكنك ستحياها رغم ذلك..

لم نختر الكثير من المساحات المؤذية في حياتنا ... لم نردها ولم نتمناها يوما، لكن الدهر يراقبنا حتما ليفرضها علينا... لا شك أننا كثيرا ما نساهم في عثراتنا التي نبنيها دون وعي منا لحقيقتها، لكننا أحيانا نخطئ عمدا كي نهرب من خيبات آمالنا أو من خذلان الناس لنا ... لا أعلم لمَ ننتظر دعما من الناس دائما؟ ... ربما لأن الضعف فينا أيضا نشعره ثقلا موجعا نتركه يسلب قوتنا بحثا عن راحة ما ولو للحظات.

الأمر معقد ... لكن ما أسهل أن نفهم آلام الناس إذا قسناها بآلامنا ... ماذا كنا سنخسر لو احتوينا أحدهم لحظة ضعفه ووجعه؟؟ ... كنا سنبقي حتما على إحدى خطوط وجه ذاك الطفل البرئ... كنا سنداوي جرحا لا أكثر... كنا سنشارك في كتابة قصة أخف حزنا وألما ... والأكيد أننا سنساعد بعضنا في الحفاظ على شيء من ذاك الطفل ونمسح دموع شيخ صنعت

الحياة والناس منه شيطانا في صورته، ومقتولا في روحه حتى يبحث عن نفسه التائهة منه في رحلته إلى الموت.

لنكن رحماء على بعضنا أكثر ابتسامات بعضنا كل يوم ليست إلا ستارا لأوجاع تنتفض في الروح دون هوادة.

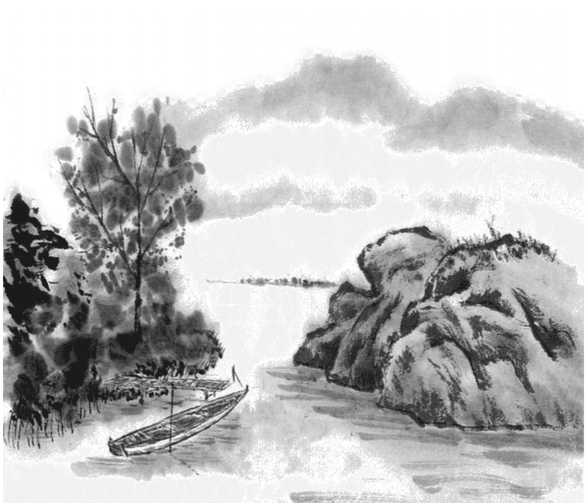

السعادة

هل تعلم أن السعادة عليك حق؟؟ عليك أن تكون سعيدا لسبب ما في هذه الحياة، فليست كل سقطة كفيلة بإطفائك... تعلم كيف تبدأ يومك كل صباح وأنت تتعجل الخروج إلى رحاب الدنيا الواسعة ممسكا يدك اليسرى بيدك اليمنى ... ثم انظر إلى المرآة بكل حزم وأخبرها أن الحياة تجددت فيك ولن تتنازل عن سعادة اليوم أيضا...

عندما تخرج من بيتك أُنظر حولك جيدا ... وكن على ثقة أنك ترى كل شيء جديد أيضا ... عليك أن تتعلم كيف تلون حياتك بألوانك الجميلة تلك ... كن أنيقا ومشعا ومبتسما ونشيطا، ثم ابدأ رحلتك للبحث عن فرحة يوم جديد ... لا تدري أين ستجدها بالضبط ... فربما تكون في عملك أو في كف صديق يتلهف لرؤيتك أو في كلمة من زميل أو جار أو حتى عابر سبيل... أنت قدر سعادة اليوم بقدر ما تسعد به غيرك أيضا... أسعد أحبابك وأبهج أرواحهم المتألمة، ربما اليوم سيختفي وجعك وينام ضعفك حين تبتسم للحياة كل صباح وتراها بتلك الألوان التي تراقص قلبك، لقلوبكم السعادة ... كونوا سعداء دوما.

أمي

أمي ... تلك الحكاية الخرافية الجميلة في روحي ... تبدأ الحياة عندي تحت قدميها وتحتهما تنتهي ... هي ملاك الدنيا والآخرة... هي فرحة تسكن ذكريات طفولتي عندما كانت تجمعنا حولها كل ليلة لتقص علينا ذكريات صباها ... حكاياتها تلك كانت من اروع وأدفأ اللحظات التي تأخذنا إلى عالمها الحالم الذي يبدو أنها لم تنساه أبدا ... لقد عرفنا أمي وهي طفلة قبل أن تَتيتَّم ، عندما كانت تعيش دلالها الطفولي عندَ والديها ... ثم عرفناها طفلة يتيمة وجدت نفسها فجأة ضائعة بين هذا وذاك في عالم عانى ويلات الفقر والحرمان... لكنها وبروحها الحلوة قاومت لتعيش شبابها الجميل الذي علمتنا من خلاله كيف تكون المرأة القوية وكيف تحارب الدنيا حتى تعيش آمالا لا تتوانى أبدا في بنائها.

علمتنا أن الاحترام فضيلة والأدبَ ثياب والحبَّ هيبة ... علمتنا كيف ومتى نضحي دون أن ننكسَ رؤؤسنا للهزيمة والخذلان ... كانت تبني معنا أحلامنا وتقص علينا جمال الحياة حين نكبر فأحببنا أن نكبر بسرعة لأننا سنكون سعداء ... ثم كبرنا يا أمي وحققنا تلك الأمنيات التي رأيتها فينا لكننا لم نكن دوما

سعداء، يبدو أننا لم نفهم بعض تلك الدروس جيدا إلا بعد أن كبرنا وارتشفنا من بعض الكؤوس التي لم تحدثينا عنها خوفا علينا.

ثم وبعد مرور السنين وقد بدأت تجاعيد الحكايات تظهر على وجهها الجميل بدأنا نفهم ذاك البعض الذي أخفته عنا...

أمي ... المحاربة الثائرة والقاهرة الحنونة جدا، أصبحت متعبة الآن وتعبها يمزق شيئا في روحي فيؤلم فيها الروح لأن تعبها كله ابن عثراتنا وسقطاتنا ... آه يا أمي كم توجعني تلك النظرة التائهة منك في كل واحد منا حين يأتيك يشكو... تشعرني أننا قصرنا في تحقيق تلك الأمنيات التي ساعدتنا في حبكها ونحن حولك يوما ما ... فأسأل نفسي: هل خذلناك؟ ... أمي الجميلة بعينيها الجميلتين تخشى علينا وتتألم فتنهرنا أكثر كلما كبرنا وكأنها لا تقبل أبدا أن ينهار شيء من تلك الأحلام الطفولية التي ربتها فينا ... لكنها الحياة يا حبيبتي... لن نكون كما تمنيتِ لكننا حتما سنقترب من حلمك دوما.

لم تكوني يوما ضعيفة أبدا رغم أن الزمان لم يرحمك ... أتذكر كل تلك العقبات والهموم التي اتفقت أن تدمرك، كما أتذكر كيف قاومتها وتحديت الليالي الطوال كي تهزميها ... ثم نجحت ... أحاول اليوم أن أصعد على سلمك الصامد ذاك كي أكمل

دربي مثلك قوية وأصد الضربات ... يمكنني ان أستلهم من تجاعيد وجهك التي تزيد يوما بعد يوم فتزيدك جمالا حتى أكونك كما تمنيتِ أن أكون دوما...

الأم جنة في كل الأوقات وأرض ترتوي بدموعها دون أن تبلل من حولها لتعطينا الحياة جنة ... لا ... أمي ليست كل ما قلته لأنها أكثر وأعمق منه بقدر ما لا يمكنني وصفه، فهل عدل أن اطلب من قلمي الصمت عنها حيث لم أقل شيئا بعد؟

يا رب اجعل أمي سيدة الدنيا والآخرة واجعل لها نصيبا من دعوات كل أبناء أمهات الدنيا ... احفظها يا الله.

أبي

أبي ... هو ذاك الرجل الذي لا يراه أحد مثلما أراهُ، طبعا فالمثل يقول كل فتاة بأبيها معجبة، ومع ذلك أصرُّ أن أبي عالمٌ آخر.
لم يهديني الجمال الذي بحياتي عمدا لأنه يشعر دائما انه بلا حيلة ... ويقول أنّه يحاول أن يعطيَني وإخوتي مفاتيح الأبواب الصحيحة لدروب الحياة ومع ذلك يشعر بعجزه ... وكلما كبرنا وشقَّ كل واحد منا طريقه المختلف عن الآخر ازدادت حيرته أيُّنا يحتاج إليه أكثر من الآخر ومن سيرافق الآن إلى نقطة ما بعد الضباب ... أشعره يتذبذب في مرافقة هذا مرة وذاك مرة أخرى.
أبي الرائع لا يدري كم أنه رائع، وعندما يقع أحدنا في مشكلة يحيا تلك الخيبة التي تشعره بالفشل ... لا بأس يا أبي فكلنا كآباء نحيا تلك اللحظات الأليمة ... ولا بأس ألف مرة حين أكون مهمومة يوما أو أتوجع من الحياة... لا بأس حين تراني أيضا أفشل في أي شيء أو أتعب فتسمع دون أن أدري تلك الآهة التي تريح روحي ولو قليلا ... لا بأس فإنما خلقنا لكل هذا ولستَ من يمنعها عنا ... إنها أقدار لن تتجاوزنا لأنك تحاول أن تحمينا.

أبي ... علمتني عن قصد أو عن غير قصد الكثير في هذه الحياة ... فشكرا لرفضك الكثير من قراراتي، وشكرا لدعمك الكثير منها ... شكرا لأنك غضبتَ عليّ ومني، وشكرا لأنك سامحتني كثيرا ... شكرا لأنني تعلمت أن أهابك مذ كنت طفلة وما زلت أفعل وأنا امرأة ... بل وأم أيضا ... شكرا لأنك تتابع أحلامنا وهمومنا حتى الآن وتشاركنا الرأي ولا تفرضه علينا ... أنا الآن أفهم جيدا أنني أخذت حتى من تلميحاتك وكلماتك دعائمَ لبناء شخصيتي اليوم.

ابنتك اليوم لا تخشى شيئا ولا تتنازل عن أهدافها وأحلامها أبدا ... وكذلك لا تسقطها كبوات الطريق في حياتها تعلمت من روحك كيف أقاوم... تعلمت أن أخجل من أخطائي التي ارتكبتها عمدا أحيانا حين أستحضر وجهك في خيالي ... أعتذر يا أبي عن هفواتي التي أخجلتني منك حتى في غيابك ... وأعتذر لأنني عشت لحظات ضعف قهرتني قليلا وأنستني أنك بجانبي دوما ... أعتذر لأنني جعلتك تقلق على ابنتك حينا لأنك لم تر فيها إلا طفلتك الصغيرة ربما احتاجت إليك ولم تستطع أن تلبيَ نداءها...

أعتذر عن كل ألم جعلتك تحياه ولو للحظة قصيرة خوفا وقلقا علي ... ومع ذلك ما زلت أحتاج وجودك الذي يغنيني عن

الدنيا... فأنا مازلت أتعلم منك وأقوى حتى في الأوقات التي أحاول فيها أن ألعب دور المرأة التي تجعلك مرتاحا لأنها لا تعاني أي ألم.

قصة فقد

يمكنها أن تتألم الآن بعد أن أضحت وحيدة ...يمكنها أن تتذكر ذاك الماضي القريب وتتوجع أكثر فقد دفنته، ولن تتمكن من ضمه إليها بعد ...

بخطاها المتثاقلة الحزينة أكملت طريقها المظلم تلك الأم التي ودعت طفلها منذ ساعات ... تمشي وبين جنباتها أوجاع الدنيا ... وآهات لا تكاد تفلت منها حتى تحرق قلبها الميت مع موت ابنها ... ثم تستعيد ذكرياتها معه كأنها تحاول أن تتنفس من جديد، وما أن تطلق تلك الزفرة العميقة البائسة حتى ترى أمامها صورة المولود الجديد بين يديها يصرخ معلنا مجيئه إلى هذه الحياة التي زادها رونقا وجمالا... فتحمله بين ذراعيها وتلف به أركان البيت وهي تغني له أجمل الألحان ... تتذكر أيضا كل تفاصيل حياته وهو يكبر أمام عينيها كشجرة جميلة المنظر وغضة العود ... ثم كلمة ماما كأول لحن يشدو به حبيب قلبها لتزداد هي سعادة وجمالا وحبا للحياة... كانت تلك السنين القصيرة من أبهج اللحظات في عمرها ... لا سبيل إلى تكذيبها أو الشك في جمال دنياها لأنها أم ... فهل للمرأة بهجة أكبر من
كونها أما...؟

ثم تنقلب كل هذه السعادة في لحظة إلى صدمة تحطم روحها إلى ما تحت الانهيار... تتذكر يوم دخل عليها يناديها أن أغيثيني يا أماه! وهل منا من ينادي بغير أمه حين يستغيث في صباه؟ وتهرع إليه بقلب منفطر يكاد يقفز خزفا من صدرها لتجده على الأرض ملقى كدمية بلا حراك... وجهه الجميل منتفخ ومتغير لونه ...يرمقها بآخر نظرة، يستنجد بها لآخر مرة ثم يغمضها إلى الأبد.

لا تعلم كيف ولماذا؟؟ لا تفهم ما حدث حتى... لكن القدر أسرع لينفذ فيه دون أي شرح أو تفسير.

تثاقلت خطواتها وجلست على الأرض لا تدري لصرختها المكتومة مخرجا... ولا تعلم كيف ستقتل قهرها اللامتناهي... تحت تلك الأمطار تبكي... وتشاركها الدنيا البكاء... "إلهي هل من دواء يوقف نزيف روحي؟؟؟ كيف أصبح العالم فجأة دون ألوان، دون ألحان؟؟ من أين جاءت قساوة النسائم فجأة؟؟".

لا تدري... لا ندري... لا أحد يدري... لكنها حقيقة... نفقد أرواحنا فجأة ولكننا ما زلنا نتنفس، أن يرحل شيئا حقيقيا وجميلا من حياتنا ومع ذلك مجبرون على العيش وفقط... زمن بعيد... هناك من بعيد... لا نعلم أيضا أين ولا متى سيأتي طيف الأمل يتجدد فينا فنحيا من جديد...

... لأن الحب ليس كلمة

وإذا أتاك الحب يراقص أحلامك... أو أتاك فيه مدعيا صداقة... أو حتى حبا من إيمان في قلب لا يعرف من خوف الله غير تمتمات من سُوَر وآيات فلا تصدق منه شيئا حتى ترى عيناك ... ليعترف الجميع أنهم يخدعون الجميع ... وأنهم لا يفهمون معنى الود حقيقة كيفما كان أو أتى...

لا أحد يتحمل مسؤولية كلمة أحبك بعد أن ينبس بها لأي أحد وفي أي وقت ... كان علينا أن نتعلم من صدق مشاعرنا أن الحب وعد... وأن الحب حبل يلتف حول أعناقنا ثم علينا أن نسعى جاهدين كي لا نُشنق به يوما بمجرد أن نخلق أعذارا للفتك بقلوب أحبابنا... ثم أن الوعود شهامة ووقار وإنسانية وكرامة وليس الجميع يفهمون أيضا هذه الصفات.

لنقل أنّ الأنانية التي بداخل الانسان تقتل الصدق الذي فيه... وأنه يصنع من روحه ضحية الزمان ليبكي ضياعه بين كلمات الوجع الحزينة عندما يكون وحيدا في ليله... ثم تبزغ شمس النهار فيقوم ويركض في مملكة أنانيته باحثا عما هو مريح ويرضي غروره... سينسى ولن يبقى للحب وجه ولا للوعد وفاء ... لهذا دعنا يا هذا من ادعاء الحب وعش حياتك كما

أتتك، ولتعمل بصمت ولتضرب بعمق حتى يذكرك الزمان يوما ويسميك من لا يكذب وفقط.

رحيل يتجدد

في كل مرة كان يحمل حقيبته يخرج من البيت دون أن ينظر خلفه ... فلا وجود لأحد بعده، ولا داعي لتوديع الجدران الباردة التي يجدها في كل عودة ثابتة مكانها ببرودها وقساوتها ... لكنه هذه المرة ولأول مرة سيستدير ... سينظر خلفه ليجدها تنظر إليه بعينين خائفتين تحملان من الشوق والحنين قدر هذا البعد وأكثر ... لا يدري إذا كان سعيدا لأنه يشعر
بعطفها وحبها يلفانه، أم سيحزن لأنه سيتركها وحيدة ولو مرغما لمدة يمكنه فيها ألا يعود أصلا ... وإن عاد فقهره لن يزول باللقاء الذي سينتظر الرحيل مرة أخرى.

هكذا هي حياته ... بين رحيل وعودة... بين حنين ووجع... لكنها حتما أصبحت بطعم جديد لأن هناك قلبا ينبض لأجله، وحياة بأكملها تتوجه ملاكا يحتوي بيته...

لكن هل فكر فيها وهي تودعه؟؟ ... هل فكر فيها وهي تقوم ساعات الأيام الطويلة بدونه؟ ... ثم كم مرة انقبض فيها قلبها وتساءلت أين هو الآن؟ وكيف حاله في غمرة النسيان المجهولة أسبابه؟؟

لا أدري ... هل مازال يتنفس ويشعر بوجودها، أم أنه يكتفي

بالسؤال عنها مرة واحدة بين الفينة والأخرى؟

أخاله لا يفكر ولا يدري حتى حجم الموت الذي ينزل كل يوم يداعب عقلها ويأرجح الرحيل في خيالها ساعات وساعات حتى يتكرم هو ليخبرها أنه بخير وفقط...

بين وجعها المختلط بالخوف النائم مرة والمستيقظ مرات... وبين حنينه وقهره عليها الذي يتناساه وهو هناك ... في مكان ما ... تبقى تلك الخيوط الجميلة تداعب أحلامها وكأنما الحياة خلقت لأجل هذا الجرح المختلط بألم الرحيل وفرحة العودة المتكررة كل زمن...

في زمن مغشي بالانتظار ووحدة تؤنسها الوعود الأبدية بالوفاء، يستمر الليل قاسيا يجلدهما دون رحمة، حتى ينبلج نور شمس اللقاء بعد العودة يمسح أنين الأمسيات الحزينة ... ويظهر بريق حلم الماضي يتحقق ألف مرة ... كل مرة ... ثم تتكرر الحكاية طول العمر ... إلى أن ينتهي العمر.

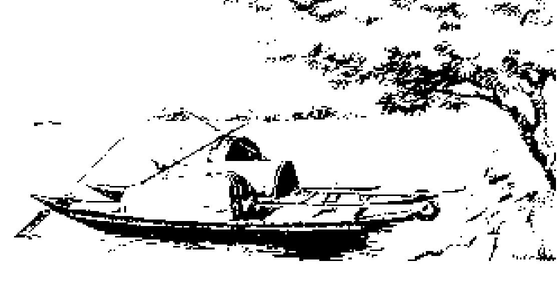

عالمي ...

عالمي جميل...كبستان مليء بالورود المختلفة ألوانها ... شذاها يعبق سمائي ... وبالرغم من كل هذا تتوق روحي إلى لمسة دافئة من تلك الشمس التي تطل عليَّ وعلى حديقتي الجميلة من بعيد.

كثيرا ما تجعلني أحلامي البسيطة أشعر بالاكتفاء... قادرة أنا على صنع السعادة لنفسي وعيشها أيضا، لكن في مكان ما بداخلي يوجد فراغ مجهول الهوية ... يجعلني أبحث بخوف عما يملؤه...

عبثا أحاول أيها الزمن ... عبثا أركض خلف كل شمس وقمر ونجم أخالهم حجري الناقص في أعماقي، ثم أستيقظ على سحابة تسرق النور مني وتداري شمسي وقمري ونجمي... كل شيء كاذب حتى النخاع ... كل شيء يلبس ثوب الزيف الحارق ويراقص أحلامي من بعيد دون هوادة... ثم لا شيء يملأ فراغي المجهول.

الأمر مثير أكثر حين لا أتعب... ولست أَمَلُّ المحاولة من جديد... أظل أبحث في كل الوجوه التي حولي... تبدو جميلة جدا في

البداية لكنها وبسرعة تُظهر قبحها القاتل، لأفهم بعد كَسرة أخرى أن جمالها لم يكن إلا انعكاسا للربيع الذي في روحي.

أعود بعد خيبتي المليون وأكثر إلى حديقتي الغناء... فهي جميلة جدا ... بألوانها ... عطرة جدا بنواياها الطيبة... ثمأنها آمنة جدا إذ لا جراحات فيها، وبعد وقت أختار البقاء فيها وحيدة كي أضمن جبر روحي التي لا تتحمل أذى الدنيا هذا.

حلم العودة

كان بإمكانه أن يرحل دون عودة ... فهنا كل الأماكن متشابهة ... خالية من الدفء والحب والاهتمام ... مثل تلك الأماكن التي يقصدها أيضا في كل مرة ... ما هي إلا سجون أكثر اتساعا من القبر وفقط.

في لحظة الرحيل الوحيدة تلك والمتكررة دوما، يشعر بشيء من الانعتاق في روحه يجعل من موطنه وبيته مساحة لا اختلاف بينهما... فكل ما يتمناه خيط جميل يربطه في حنين إلى المكان الذي يغادره ويرجع إليه كل مرة ... إنه البيت الأُمْنِيَة ... والبيت الجحيم ... تلخصت أمنياته الروحية في قلب أم دافئ يبكي رحيله ويدق على نبض رجوعه..

إنه يرحل ويرجع كل مرة ... لعله يوما يلقى في مرجعه لهفة ما ترتاح عند رؤيته ... يريد أيضا العودة ليجد ذاك الحضن الذي يشعره أن عودته بألف معنى ومعنى.

هل يشعر العالم بالألم الذي بصدره؟ فمطلبه لم يكن يوما معجزة، في كل يوم في غربته ينتظر هاتفه الذي ربما سيرن ليهديَه صوتا متلهفا مشتاقا يسأله متى العودة وكيف حاله؟ لكن زمنه يضيع في غياهب الأمنيات وأوجاع فراق لمن لم يعرف

لها اشتياقا إلا ويكبر بعدد سنوات عمره الضائعة في زيف الوجوه التي حوله.

يحاول عبثا أن يحب الحياة ... لكنها ترفض حبه وتسقيه الألم قطرة بعد قطرة ... فيما يبقى هو يبحث في أركان الزمن عن شبيه لروحه علها تتمسك به فينجوان معا من ظلمة منحدر مجهول.

خلف النور يُنسى الوجع

نلتقي في حياتنا بأشخاص لأسباب ما ... ونتعرف على البعض بمحض الصدفة، وأحيانا نطن أن الظروف والأسباب اجتمعت لنلتقيَ بعضهم ونتعرف عليهم ثم نميز منهم أحدهم ليكون الأقرب إلينا، وفي الواقع يكون الأمر مخططا له من الآخر منذ البداية ... ليس الأمر بالسيء عندما تكون النوايا صادقة، لكن في أزمنة ما وداخل مساحات الأمان في حياتنا تؤذينا تلك العلاقات المخطط لها.

لا نعلم لماذا يدخل البعض حياتنا من أجل رسم صورة مزيفة لصورهم البشعة أساسا؟ ... لا نعلم لماذا هم يتقنون أدوارا جميلة ولا يكونونها؟؟ الأمر مثل الواحة الجميلة التي تتراءى للعطشان وسط الصحراء ... لا أدري إذا ما كان الأمر مثيرا للشفقة أم الحزن؟ لكنني أستغرب حقا قدرتهم العجيبة في تقمص أدوار الخيرِ والشرُّ يتربع عقولهم قبل قلوبهم.

" أليست اللعبة مملة؟" قالت هذا وهي تنظر إلى آخر نقطة لامعة في قلب السماء المظلمة ... كانت تعرف منذ البداية أنها ستتوجع مرة أخرى، وأنها ستعود والخيبة تملأ صدرها، وتعرف أنها ستبدأ غدها بصباح جميل ومشرق تنسى فيه

حكاية حاولت حياكتها بأصابع الثقة المقتولة دوما في زمن الغدر المنتصر...

" لكنها لم تكن لعبة ... لقد كنتُ صادقا جدا وأنت متأكدة من هذا "، هكذا أجابها وهو واقف خلفها ينطر إليها تارة وتارة ينظر حيث تنظر كأنه يحاول التحقق من شيء تراه دونه ... كان يبدو متذبذبا ومترددا ... لا يدري بما سيجيب لكنه يجب أن يحاول حتى يثبت صدقه بشكل ما، لم يزد عما قاله كلمة واحدة ... كيف يمكنه ذلك إذ يعلم أنه لا يقول الحقيقة أبدا... استدارت نحوه وتقدمت خطوتين، غرست نظرتها هذه المرة في عينيه وبحدة تبسمت وقالت: " ليتك تكون صادقا لمرة واحدة فقط كي أبقيَ الود في ذكرياتي التي ستجتاح رأسي أحيانا ... ليتك تصدق كي أبتسم لكل ذكرى وأفرح كل مرة أسمع فيها الدنيا تردد اسمك... تمنيت فعلا أن تكون صادقا لمرة واحدة ... بل لآخر مرة فربما البحث عن وطن آخر سيكون مضنيا بعد أن ألبسنا الثقة كفنا أسود ودفناها في الغابة الموحشة تلك لو تذكر".

حاول جاهدا أن يجدد رسم صورته في ذهنها وطلب منها أن تبقى الحكاية فوق أبراج جميلة محفوفة بالورد الفواح عطره لتصل الى كل مَارٍّ قربها فيتراقص قلبه طربا بجمال لحن

أوتارها في الذكرى ... لكنها رحلت دون أن تلتفت لطلب لا مكان له هناك حيث تلك الأبراج ... رحلت وهي تحمل في روحها دفعا آخر للبحث عن موطن يحتويها دون أن يحمل كل هذا الغدر والكذب..

أما عن صورته فلا تعدو أن تكون غير ميتٍ في كفنه الأسود وسط تلك الغابة المشؤومة.

هكذا هو الانسان ... يمكنه أن يكون سعيدا دون الأكاذيب وحكايات البطولة المزيفة ... يمكنه أن يحتفظ بجمال العلاقات لكنه يعشق تمثيل أدوار أكبر من حجمه حتى يكبر في أعين غيره، ولا يلبث حتى يسقط في مكانه الذي لو لم يتركه لكان أرقى به.

بعد خطوات قليلة ظهر ذاك النور من جديد وأدخلها عالمها الذي اختارت ونسيت فجأة أنها تركت خلفها وجعا ما... وجع ما استحق منها الوجع ... وبدأت رحلتها الجديدة بصدق لكن بحذر.

وصية أبي

عندما أثقلت الهموم صدرها لم تجد حولها غير ذاك الفراغ الذي لطالما حاربت من أجل أن تملأه بقلوب تواسيها في مثل هذا اليوم ... ويتحول الفراغ كله إلى زنزانة مظلمة لا نور فيها ولا حياة... اشتد بها الخوف ولم تعرف بأي الأسماء ستنادي الآن حتى تحتميَ ولو للحظة من رعب الزنزانة المظلمة ... نظرت حولها بسرعة وهلع ... لا أحد ... لا أحد هنا ... يبدو أن الجميع يرحلون ... لم تكن ثقتها بالبعض أمس هي من سينقذها من وحشة السجن والظلام الذي حلَّ بعقلها وصدرها ... ودون أن تفكر في أكثر من ذلك سمعت ذاك الصوت الذي لا يمكن نسيانه يوما يناديها ... لمعت عيناها فرحة ونظرت خلفها بسرعة وأنفاسها تتصاعد بين الأمل والسعادة المختلطين بخوف الاستيقاظ على واقع آخر ... وكالمغشي عليه وقعت فجأة لتجد نفسها من جديد وككل مرة منذ عرفت الحياة أمام ذلك الرجل الذي لا يتركها أبدا ... رجل طالما عطش لترتويَ...

جاع لتشبع ... سقط لتقف ... نعم ... إنه والدها الذي لم يتوان في حملها بين ذراعيه دائما، صغيرة كانت أم كبيرة ... هو الرجل الوحيد الذي يقف خلفها في كل حالاتها ... يسندها ويدعمها ويأخذ من روحه ليعطيها ... اغرورقت عيناها بالدموع ككل مرة، فطمأنينة اللحظة لا تتذوقها إلا بوجوده هنا دائما...

هو وحده يخبرها أن الحياة لا تستحق دمعتها ولا حزنها... ويخبرها أن الفراغ الذي حولها لا وجود له أساسا إلا في أمنياتها المتفرقة بين الناسي والمخادع والخائن والكاذب... وهذه الزنزانة ليست إلا حلمها البسيط والساذج الذي تربط به نفسها ... ثم يدعوها لتكسر هذه الجدران الزائفة حولها: (إنها مظلمة جدا يا ابنتي ولا تليق بك ... فأنت وردة الحياة التي تعيش بالنور وللنور... حطمي قيود الروح التي تربطك بكل من أفلت يدك في وقت ما... كسري زجاج الجدار الأسود هذا فهناك عالم أوسع هناك... حلقي خلف هذه الزنزانة المفتوحة أصلا ففي داخلك شمس لا يخمد توهجها... لا تُوجِعي روحي التي رعتك العمر... انطلقي وفقط)

(فعلا... لا يمكنني العيش رهينة اختياراتي الخاطئة... سأحلِّق يا أبي حتى أبلغ عنان السماء... سأحلّق أكثر حتى ترتويَ روحي من صفاء الدنيا التي تحتضننا فنؤذيها... ككل مرة تعطيني درسا آخر ... تخبرني أنني أنا الحياة ... أنا السعادة... أنا من يجب احتضان نفسي بعد كل سقطة ... سأنطلق يا أبي حتى أكون أنا بعد أن أكون ابنتك فليس للفراغ من حولي وجود ... لأنني في مكان ما بقلبك ... وأنت في وجودي الحياة).

سألت حبيبي...

سألته لأنه حبيبي ... لأن عيونه غريبة النظرات، والغربة في صوته أميزها من بين كل النبرات:

_ هل تشتاق إليها ؟؟...

_ كثيرا... وجدا.. وبعمق... أشتاق هي كلمة شحيحة لا تطاق ... فهي أمي التي لم تضمني مذ كنت صبيا يشتاق ويشتاق ويشتاق.

أتعلمين حبيبتي؟ ... أعيش سنيني والنقص يأكل مني ويحرق في عمري الجمال... في العيد وفي الأعراس... في الحزن وفي الأفراح ... في روتين الحياة أبحث عنها وفي ملامح النساء... في عيون العاشقات... لكنني لا أجدها ولو كطيف يعطيني الأمان... في كل فرحة تنكسر لحظة ما بوجداني، أحاول عبثا أن أكون أنا دون انهزام ودون سقوط، مع أن قلبي سقط ألف مرة وقام... هل تعلمين يا حبيبتي أن الحياة متعبة أكثر ألف مرة... بل مليار... فأنا أحن لحضن أمي، ولمسة أمي، وضحكة أمي، حتى لغضب أمي... أحن إليها حنين الروح التي أدرك أنها ستقتلع من صدري يوما، وأبقى في عذاب الحنين إليها...

يسألني حبيبي دائما: هل بإمكانك أن تكوني أمي؟؟

_ صدقني يا مهجة قلبي إن سؤالك هذا يذبح قلبي... في روحي لك أمّ ستعطيك الحياة... أريد أن أجيبك لكن ليس بكلماتي ... أريد الإجابة وأخشى ألا أَفِيَ بما أحسه لحظة سؤالك ... وأخشى أن يكون كلامي مجرد كلام ... وأخشى أن تحسب جوابي مجرد كلام حبيبة.

أريد الإجابة أني سأحمل أمنيتك في صدري أنا، وأحضن وجعك تحت رمش عيوني، وأسافر بروحك في جوف أمنياتي.

يا ليتك يوما تكون طفلي وأحضن آلامك الأمسيات، وأزرع دنياك بالبسمات...

يسألني حبيبي مرات ومرات ... فأخشى البوْح بأنني أمك، وأنني نجمك ... بأني سأمسح شعرك حين تتعبك الحياة، وأسعد قلبك كل اللحظات.

إنني أمك، لأنني أرتعب لغيابك عني... وأغضب لانشغالك عني... وأترقب خطواتك دوما... ثم سأسامحك بسرعة لأنك جزء مني... وأسعد كثيرا لأنك بخير، ثم أعاتبك لوما وقهرا بأنك تنسى أن تطمئنني دوما.

تشتاق إليها كثيرا... وجدا... ودوما... وتنسى بأنك لو جئتني لوجدت روحها في صدري تنتظرك.

أنت تشتاق ... وهي تشتاق ... ومثلكما وأكثر أنا أيضا أشتاق، بهذا القدر وأكثر أريد أن أكون حبيبتك وقبلها أمك.

نفحات من الذكرى

في هذه الحياة لن تجد ذاك الشخص الذي يلامس وجع روحك ويفهم نفحاتها إلا مرة واحدة فقط في العمر... هذا ما حدث لذلك الشيخ العجوز الجالس أمام البحر في أمسية جميلة لكنها جدا حزينة... كان يحادث نفسه وعيناه الدامعتان غائصتان في اللا منتهى من خلف اليمّ الهادئ...

انحدرت دمعتان تتعرجان فوق تجاعيد الزمن التي خطت وجهه الأسمر الحزين... كان يتذكر في تلك اللحظات يدا امتدت إليه منذ سنوات خلت، تلك اليد التي أخبرها يوما أنه بحاجتها وتوسلها ألا تتركه أبدا لأنه سيقوى بها في كل حين ... هو الآن يتألم أكثر لأنه يتذكر الصوت القوي صدقا وهو يخبره أنه سيكون جيشه في كل معارك حياته، وأنه سيكون دوما هنا... إلى جانبه.

احتراق الروح بعد هذا العمر ليس سهلا ... فكل شيء في حياته مضى كذبة أو وَهْما أو لا شيء... كل الأيادي الممدودة إليه فيما مضى كانت تذوب مع أول زوبعة تعصف ببستان حياته... وعند عتبة كل هزيمة كانت اليد الوحيدة التي صدقته الوعد

ترتسم أمام عينيه فتزيده شجنا، لأنها اليد الوحيدة التي كسرها في عز صدقها.

توالت آهات هذا الشيخ الطاعن في السن، وكان موج البحر يرقص على ذكرياته الحزينة...

" نعم أيها الموج ... لقد كان الإنسان الوحيد الذي أعطاني نفحات من روحه هو نفسه الذي كسرته وأبكيته ورقصت فرحا على حطام قلبه الذي لا أدري متى ولا كيف استطاع أن يلملم شتاته بعدي... كنت أنا من لجأ إليه يوما أطلب منه جبْر قلبي ... وكان وحده من ضمَّد جراح الحياة في أعماقي ... كم كان يلامس في الأعماق ...لكنني ذبحته... ثم قدمته قربانا لسيوف الدهر كي أسعد وحدي... واليوم... بعد هذا العمر أدركت كم كنت وحيدا... وكنت لصا وقاتلا لحضن احتواني... الآن أيها البحر أريد الرجوع إلى زمن خطف مني الحقيقة علَّني أجبره أن يعطيَني بلسم الروح أهديه لمن حطمته يوم احتواني ... لكن هيهات والعودة..."

نعم ... لقد كان ذاك الكتف النبيل هدية الزمن لكل واحد منا، وإن ضيعناه وما أدركناه في وقته حصدنا حسرات الزمن على شاطئ بحر حزين نروي له حياتنا بعد العمر فيبتلعها ويحيك

منها قصصا أخرى تبعث في الناس تلك الأغنية السحرية الحزينة في أمسيات غروب صيفية.

جنون الانتقام

وجدته جالسا تحت شجرة الزيتون كعادته... عدتُ بعض الخطوات بصمت وتردد ثم توقفتُ وهممتُ بالرجوع ... لكنه ناداها أن تذهب إليه ليقول لها أخيرا ما جَبُن على قوله قبل الآن ... لم تكن شجاعة منه، لقدْ تَسَحَّب خلف خطواتها التي تقدمته فاغتنم فرصته يلعب دور المضحي لتُعجب به حتى بعد الرحيل...وفعلا أكملت خطواتها إليه وهي تعلم أن النهاية كانت رحمة من ربها بها فقد أكثرت من الصلاة والدعاء ولم يخيب الله مطلبها.

نظر إليها لوهلة: " لا يمكنني أن أحمِّلَك حزنا لا تطبقه الجبال، فأنت لا تستحقين أن تتحملي دماري وأنا أحمل نهايتي بين يدَّي كل يوم... إن الموت يترصدني ... أنا أنتظر لحظة سقوطي كل يوم...لقد سئمت الانتظار وأنا أدفن كل يوم شهيدا آخر... سئمت أدندن ألحاني مع صوت دوي الرصاص ... أصبح الموت عندي أمنية ورحمة الله بي... لهذا لا أريدك أن تكوني حزينة العمر لأجلي... أنت تستحقين الحياة، لهذا اخترت الهروب كالأبله من جنتك إلى نار مصيري المحتوم... أعلمُ أنكِ الآن

ستتمنين موتي... وستعتقدين أنه انتقام الله لقلبك...لكنه في الواقع رحمة الله بي "

كانت تنصت إليه بهدوء وهي تعلم أن مثل هذا الكلام يقال عند بعض الجبناء عندما يغدرون... إنها حجة كل من يغدر عندما لا يجد حججا أخرى... لكنها كانت تعلم أن هذا المقطع من الحديث المألوف لن يحرك فيها شيئا... كانت ستسامح أكثر لو أنه لم يلعب دوره الملائكي هذا فهو جدٌّ مُمِلٍّ... أدارت له ظهرها وهمت عائدة أدراجها دون أن تنبس ببنت شفة، لكنها فجأة شعرت بنار تحرق صدرها وتشعل كل لحظة حاولت فيها أن تكون إلى جانبه يوما... كل عبارة قالها لها يوما عن تفانيها وحبها وقوتها التي ستقهر المستحيل وتجعل من اليوم الجميل عمرا دون أن تفكر في سنين العذاب والحزن التي يتكلم عنها.

عادت إليه لتخبره:" أتعلم شيئا؟ ... كنت أتمنى أن أخبرك أنني لا أنتقم من أحد ... ولست أفرح لحزن أو موت أحد... تمنيت هذا كثيرا لأنني فعلا لا أرتاح لشر يصيب غيري مهما كان... لكن لا يمكنني الإبحار أكثر في زيف حديثك وأتظاهر أنني صدقت ولو قليلا من مسرحيتك الشنيعة التي ألبستِ القبح كل هذا الجمال... لكن اعلم أنني لا أريدك ميتا لأن الموت فعلا رحمة لك... أنت لن تموت هناك تحت القصف ... لن تقتلك رصاصة

بكل رحمة ... كل ما سيسعدني هو أن تبقى حيا، لترى كل يوم تلك الجثث تسقط أمامك... لتتعثر بتلك الأجساد الفاقدة أرواحها.. لترى الفقد بعينيك وتعيشه بكل حواسك... لتجريَ دموعك أنهارا دون توقف وتصرخ وتصرخ مناديا الله كي يمنع عنك هذا العذاب، لكنه لن يجيبك لأنه العدل ... ولأن صلواتي سبقت صلواتك ... لأن غدرك سبق طلب اللطف، وعندما يرأف الله بحالك ستعود إلى بيتك وحيدا بين جدرانه الباردة مبتور الساق أو الذراع... حينها سترتاح من صوت الرصاص، ومن صوت الشهادات قبل الموت.. ومن صوت رفيق يناديك قبل الموت كي تنجده ولا تصل إليه في الوقت المناسب، لكنك لن ترتاح من صوت روحي التي آلمتها عمدا وهربت... ستسمعها كل لحظة وحين في يد أو ساق مبتورة..."

أكملت حديثها وتركته كما اعتادته صامتا لا يقول شيئا... بين مصدق ومكذب لما سمع... الآن يعرف قلبها الرقيق مسامحتي؟؟ ... ما أقساها من امرأة يملأ الحقد جنبات روحها التي حسبتها رقيقة.

بين الغدر والمسامحة بحر من الأوجاع لولا رحمة الله ما استطعنا النظر إلى وجوه بعضنا أبدا... ثم يمر الزمان كفيفا، وينسى الظالم صنيعه ويتناسى المظلوم ألمه حتى تنزل أقدار

الله لتسوِّيَ حساباتِ البشر ويُسقى كلُّ ساقٍ بما سَقَى... فصبرا ثم جبرا ... إنها مجرد أيام.

الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	إهداء	04
02	مقدمة	05
03	لا تطلق يدي	07
04	عند الرحيل	09
05	زمن الألم	11
06	هلوسات	14
07	لأنك امرأة، كوني سعيدة	16
08	إصرار	18
09	متاهة الحياة	21
10	لنتعلم الصدق	23
11	لعينيها ... تلك الصغيرة	25
12	مقتل الرجولة ... ؟؟؟	28
13	لحظات مسروقة من الزمن	31
14	صوت الموت	34
15	أوجاع الروح	36
16	السعادة	39
17	أمي	40
18	أبي	43
19	قصة فقد	46
20	... لأن الحب ليس كلمة	48
21	رحيل يتجدد	50
22	عالمي ...	52
23	حلم العودة	54
24	خلف النور يُنسى الوجع	56

25	وصية أبي	59
26	سألت حبيبي...	62
27	نفحات من الذكرى	65
28	جنون الانتقام	68
29	الفهرس	72